وَمِنْ خصائصِه صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّ الميتَ يُسْأَلُ عنه فِي قبرِه وأن اللهَ سبحانه وتعالى أخبرَه بالأمورِ الغيبيةِ المستقبليةِ

روى الإمامُ أحمدُ فِي مسندِه بسندٍ صحيح على شرطِ الشيخين عَنْ عائشةَ – رضيَ اللهُ عنها – قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم –: ((أَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فِيَّ تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ غَيْرَ فَزِعٍ وَلا مَعْسُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الإِسْلامِ.

فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَانَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَدَّقْنَاهُ.

فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يُحَطِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ.

ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا. وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ))[(١)].

وَمِنْ خصائصِه – صلى اللهُ عليه وسلم – أَنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أخبرَه بالأمورِ الغيبيةِ المستقبليةِ:

روى الشيخان فِي صحيحهما عَنْ أَبِي هريرة – رضيَ اللهُ عنه – قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم –: ((يتقاربُ الزمانُ[(٢)]، وَيُقْبَضُ العِلْمُ[(٣)]، وَتَظْهَرُ الفتنُ[(٤)]، وَيُلْقَى الشَّحُّ[(٥)]، وَيكثُرُ الهرجُ، قالوا: ما الهرج؟ قالَ – صلى اللهُ عليه وسلم –: القتلُ))[(٦)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (٢٥٠٨٩)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب، (٢٦٩/٤)، وقال: (رواه أحمد بإسناد صحيح)، وأصل الحديث رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفقَ النعال، (١٣٣٨)، وباب ما جاء في عذاب القبر، (١٣٧٤)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر، (٢٨٧٠).

(٢) يُفَسِّرُ تقاربَ الزمانِ قولُه – صلى اللهُ عليه وسلم – فِي الحديثِ الآخر الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسندٍ صحيح، (١٠٩٤٣)، عن أبي هريرة – رضيَ اللهُ عنه – قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: ((لَا تقوم الساعةُ حَتَّى يتقاربَ الزمانُ، فتكونَ السنةُ كالشهرِ، وَيكونَ الشهرُ كالجمعةِ، وَتكونَ الجمعةُ كاليومِ، وَتكونَ الساعةُ كاحتراقِ السعفةِ)).

قَالَ الإمام السندي في شرح المسند، (٣١٣/٦): (المراد بتقارب الزمان نزع البركةِ من كلِّ شيء من الزمان)، وقال الحافظ في الفتح، (٥٠٨/١٤): (والحق أن المراد نزع البركة من كلِّ شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة).

وروى الإمامُ أحمد في مسندِه بسندٍ حَسَن عَنْ عبدِ اللهِ بن مسعود – رضيَ اللهُ عنه – قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم –: ((**إِنَّ بينَ يدي الساعةِ تسليمَ الخاصَّةِ**[٧]، **وَفُشُوِّ التجارةِ، حتَى تُعِين المرأةُ زوجَها على التجارةِ، وَقطعَ الأرحامِ، وَشهادةَ الزور، وَكتمانَ شهادةِ الحقِّ، وَظهورَ القلمِ**))[٨].

---

(٣) يُفَسِّرُ قبضَ العلمِ قولُه – صلى اللهُ عليه وسلم – في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، (١٠٠)، ومسلم، (٢٦٧٣)، (١٣)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضيَ اللهُ عنهما – قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم –: ((**إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انتزاعًا يَنْتزِعُهُ مِنَ العبادِ، وَلَكِن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ حتَى إذا لَمْ يبقَ عالمًا اتخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بغيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**)).

قال الإمام النووي في شرح مسلم، (١٨٣/١٦): (هذا الحديث يبين أن المراد بيقبض العلم في الأحاديث المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناسُ جُهَّالًا يحكمون فيضِلُّون وَيُضِلُّون.

وقال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ، (١٠٣١/٣)، بعد أن ذكر طائفةً من العلماء قال: (وما أوتوا من العلم إلا قليلًا، وأما اليوم، فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناسٍ قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك، فحسبنا اللهُ ونعم الوكيل).

قلتُ: إذا كان هذا في عصر الإمام الذهبي، فما بالكم بزماننا هذا؟! فالله المستعان.

(٤) قال الحافظ في الفتح، (٥٠٩/١٤): (المراد بظهور الفتن كثرتها واشتهارها وعدم التكاتم بها، والله المستعان).

(٥) الشح: أشد البخل، وهو أبلغ من المنع من البخل، انظر النهاية، ابن الأثير، (٤٠١/٢).

(٦) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (٧٠٦١)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (٢٦٧٢)، (١١).

(٧) قال الإمام السندي في شرح المسند، (٣٤٥/٣): (تسليم الخاصة: أي تسليم المعارف فقط).

(٨) قال ابن الأثير في أسد الغابة، (٣٥٧/٣): (يعني يكثر الذين يكتبون، فإن الكتابة كانت قليلة في العرب).

قلتُ: ويؤيد ذلك قولُه – صلى اللهُ عليه وسلم – في الحديث الذي رواه البخاري، (١٩١٣)، ومسلم، (١٠٨٠)، (١٥)، عن ابن عمر – رضيَ اللهُ عنهما – قالَ: قالَ رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم: –" ((**نحن أُمَّةٌ أُميةٌ لا نَكتُبُ وَلَا نَحْسِبُ**))، أي الذي يكتب قليل، وسيكثر الذين يكتبون، وقد ظهرت في زماننا هذا هذه العلامة ظهورًا بينًا، وانتشرت انتشارًا باهرًا.